تقـــديـــم:

يتسم القرن الحالي بتغيرات وتحولات عالمية متلاحقة ومتسارعة ومتفاوته في المجالات كافه، ولها انعكاساتها التي لا يمكن تجاهلها علي كافه المستويات: العالمية، والقومية،والمحلية، وكذلك لها تأثيراتها علي المجتمعات بوجه عام، وعلي المفاهيم بوجه خاص.

ولعل محاولة سيادة النمط الرأسمالي والترويج المقصود لليبيرالية الغربية العلمانية بقيمها الشديدة التحرر، من أبرز ملامح هذه التحولات التي تروّج لها العولمة لتنال من المجتمعات المغايرة لها ثقافياً علي طريق عولمتها، فأفرزت مفاهيم، ورسخت أخري، وعملت علي ازدهار مفاهيم سلبية نالت من الذات الإنسانية الفردية، وأيضاً الذات المجتمعية في آن واحد، ومن أهم هذه المفاهيم "الإغتراب Alienation"، وعليه يحاول الكتاب الذي بين أيدينا بفضل الله تعالي أن يبلور عبر فصوله الأربعة هذا المفهوم السلبي، حيث تحليله وتفنيد تأثيراته السلبية علي كل من الذات الفردية، وأيضاً الذات المجتمعية، وكيفية قهره وانتفاء وجوده، بانتهاج التقوى كقيمه توجه السلوك في كافه المواقف الحياتية سواء مع الذات، أو مع مَنْ حولها، أو مع المجتمع ككل.

ولذا قد يكون من المفيد في الفصل الأول من هذا الكتاب تناول مفهوم التقوى بالتوضيح معززاً بآيات القرآن الكريم، وهدي رسول الله محمد ﷺ، فمع التقوى النجاة في الدنيا والأخرة، وهي وراء كل عمل صالح يأتي به الفرد في حياته، فيصلح به حاله وحال مجتمعه - فما المجتمع إلا مجموع أفراده-

وحتى تتحقق الذات الإنسانية ، ويتعزز التفرد والتمايز ، وتنتفي الفردية والأنانية والسلبية، فينتفي الفساد والإفساد ويسود الأعمار الحقيقي في الأرض وتتحقق وظيفة الإنسان، خليفة الله في أرضه في أعمارها بعد تحقيق هدفه في هذا الوجود وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ومع هذا إجمالاً تتعزز الهوية ، ويتأكد الولاء والانتماء وتتحقق الذات الإنسانية وتقديرها، وبالتالي تخفف حدة الإغتراب إن لم يكن انتفاء وجوده.

إن التأكيد على تلك المفاهيم وغيرها من القيم والمفاهيم الايجابية ضرورة قصوى ، حيث من شأنها العمل علي إصلاح شأن الفرد وتحقيق ذاته بعزة وكرامة، وكذا إصلاح المجتمع وتحقيق وحدته وتماسكه وتقدمه، واعتزاز أفراده به نتيجة لإنتفاء الفساد ، وتبعاً لما يوفره لهم من عدالة اجتماعية ومساواة تمكنهم من العيش بكرامة، وإشباع حاجاتهم الأساسية، وتحقيق نموهم وتقدمهم، فحق عليهم الاعتزاز به وشرف الانتماء والولاء له.

ولا شك أن في هذا إشارة إلي دور المؤسسات المجتمعية علي تنوعها خاصة تلك المعنية بعمليات بث الوعي ، وأكثر خصوصية تلك الإعلامية والتربوية بدء من الأسرة، والمدرسة، والجامعة، ناهيك عما يجب أن تقوم به مؤسسات المجتمع المدني في هذا السياق، ودور العبادة، والأحزاب السياسة إن كانت ممثلة بصورة حقيقية، تستطيع أن تقوم بواجبها الإنساني نحو مجتمعها ولصالحه، حتي تسهم جميعها في تمكين الأفراد من واجباتهم نحو مجتمعهم بسلوك إيجابي، تتجلي فيه تلك المفاهيم والقيم التي حثنا الله تعالي علي أتباعها

في كتابه المُنَزّل، والموضحة في هدي رسول الله ﷺ حيث سنته الشريفة والذي بعث للناس كافة ورحمة للعالمين والذي قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)﴾ [النجم٣-٥]، فقد كان عليه الصلاة والسلام موصلاً بالوحي من قبل الله سبحانه وتعالي ليبلغ الأمة، بل والناس كافة ما فيه صلاح أنفسهم واستقامتهم وتحقيق النجاة لهم في الدنيا، وجنات عرضها السموات والأرض في الآخرة، إن هم اتبعوا المنهج الإلهي وساروا على هدي النبي محمد ﷺ.

إن بداية التقوى هي المعرفة الحقيقية لله سبحانه وتعالي واليقين بجوهر التسليم والخضوع الكامل في عبودية له وحده سبحانه، والسعي في الحياة الدنيا في إطار ذلك بإتباع ما أمر به سبحانه، وتجنب ما نهي عنه وتوحيده وحده سبحانه لا شريك له، والخوف والرجاء منه، والتوكل عليه وحده سبحانه، فمهما طالت هذه الحياة الدنيا وهي دار الممر ، ستأتي الآخرة دار المقر، وستجزى كل نفس بما كسبت إما لها، أو عليها قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة من الآية ٢٨٦] في تأكيد على ضرورة الأخذ بالأسباب في حركة الحياة واليقين بيوم الحساب حيث يوضع الميزان، ميزان مثقاله الذرة قال الله تعالى فى شأنه: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة ٧]

وما الأمة الا مجموع أفرادها ، وفى صلاح الأفراد وتقواهم لله تعالى ، صلاح الأمة فتصبح قوية متماسكة يعمل لها حساب وسط الأمم .

وكفـــى أمتـــى فقـد نـالـت منكـى الأسقـام تصـدعـا

وتـــاه منكـــى الطـــريـــق ورجعـــتى التقهقـــرا

ونـــال منكـــى الهـــوان .. لصـالح مَنْ هذا التخـاذلا ؟!

هـــل اصبحـتى ترتضين الخنـوع وعـيش التضعضعـــا ؟!

بالله عليكـــى أمتـــى انهضـــى وكفـــى تخـــاذلا

بضعفـك انتشـــى عـــدوك ومـارس عليكـــى التجـــبرا

انهضـــى وعـــودى لمنهـج اللـــه طـريقـا وتـدبـرا

تعيـــشين فـــى عـزة وكـرامـة ويهابك الغـادر المتكـبرا

وفى **الفصل الثانى** من هذا الكتاب نتعرض **لمفهوم الإغتراب بالتحليل والتفسير** للوقوف على ماهيته؟ وما أهم أبعاده؟ وما العوامل المؤدية إليه؟ وأهـم مظـاهره؟ عسى يقف القارىء على ما يسببه هذا المفهوم السلبي من أثار مـدمرة تنـال مـن الذات الإنسانية الفردية وأيضاً المجتمعية، ومعه تتنامي مشاعر الإحساس بـالعجز والعزلة الاجتماعية، والانفصال، ويضيع المعنى وسط لامعيارية هدامـة، ومعهـا تفتقد العدالة الاجتماعية وتنتفى المساواة بين الأفراد، وتضيع الحقوق الأساسـية ، ويهدر مفهوم الذات ، وينتفي تحقيقها، بل وتتهدد وربما تتبدد مفاهيم هامة كـالولاء والانتماء، وقد تطمس الهوية لا تهتز فحسب، وقد تصبح هشة جوفاء تضيع معهـا الذات الفردية ، وبالتالي الذات المجتمعية، بمعنى أدق ينتهي جوهر المجتمع بمعنـاه الايجابي نتيجة اعتلال أفراده واغترابهم سواء عن ذواتهم الفردية أو عن مؤسساتهم التى ينتمون إليها ، أو عن مجتمعهم الذي يعيشون فيه، والذي بدوره هو أيضا وقـد يكون مجتمع معتل مريض لا يستطيع أن يفي بالتزاماته وإعطاء أفـراده حقـوقهم على نحوها ليقوموا بواجباتهم تجاهه.

وقد يكشف محتوى هذا المحور عن إجابات لبعض التساؤلات التي ربما تكون جالت بخاطر القارئ منها:

س : هل الإنسان المغترب عن ذاته يدرك أنه مغترب عن ذاته ؟

س: ما هي ملامح وسمات هذا الإنسان المغترب؟ وأفعاله؟

س : هل كل من تعارضت قيمه مع القيم السائدة فى مجتمعه هو مغترب عن مجتمعه ؟ ام مغترب عن ذاته ؟ ام كلاهما معا؟

س : هل يمكن أن يكون الفرد سوياً ، ومغترباً عن مجتمعه فى آن واحد ؟

بمعنى : هل يعانى الفرد اغتراب اجتماعي دون معاناته لاغتراب ذاتي ؟

س : إلى أى مدى تسهم العوامل المجتمعية والأسرية في تعزيز مشاعر الاغتراب وتأجيج مظاهره السلبية لدى الأفراد بالمجتمع ؟

* ثم يكون لنا وقفة ثالثة مع هذا المفهوم السلبي (الاغتراب) **في الفصل الثالث: حيث التنظير الفلسفي والسوسيولوجي لهذا المفهوم** عبر تناوله لدى بعض الفلاسفة والمفكرين في بعض الاتجاهات الفكرية العالمية وخاصة في كل من: (العقد الاجتماعي، الماركسية، البنائية الوظيفية، مدرسة الفعل الاجتماعي). ثم هناك وقفة مع الإسلام في مواجهة الاغتراب.

وبإيجاز شديد يمكن الإشارة في التالي بعد إلى كيفية تعامل هذه الاتجاهات مع الاغتراب:

(١) العقد الاجتماعي:

يرى أصحاب هذه النظرية ضرورة خلع الإنسان لحريته وإرادته وتسليمها إلي كيان آخر قد يكون المجتمع المدني، أو السلطة السياسية، فيرى توماس هوبز، أنه على الإنسان لكي يعيش في أمن وسلام عليه أن يتنازل عن

قوته الخاصة، وحقه الطبيعي بإرادته للمجتمع المدني ليكفل له حقه في حياة آمنة مستقرة، والجميع يتنازل عن هذا الحق، ماعدا الحاكم، ويرى "جون لوك" أنه على الناس أن يتحدوا برضا واختيار، ويتجردوا من حريتهم برضاهم ويلبسوا روابط المجتمع المدني، وأنه على الحكومة والسلطة السياسية المحافظة على أمن الناس وحياتهم وتحقيق استقرارهم وحفظ ثرواتهم، وأن المجتمع الأساسي هو سوق احتكارية يفرض نفوذه ويحدد الثمن الذي يتحتم على المحكومين دفعة (وهو الاغتراب الكامل) وانعدام الأمن بأبعاده إلا الأمن العام الذي هو ضمانة لحفظ رأس المال، بينما يرى "جان جاك روسو" أنه في تنازل الفرد عن حريته لفرد آخر إنما هو حط من قدره وإذلال له، لذلك يجب أن يتنازل الفرد عن حقوقه الطبيعية للدولة...وهذا هو أساس نظرية العقد الاجتماعي، ومعه يتحقق الاغتراب الشامل.

(٢) النظرية الماركسية:

ترى هذه النظرية أن تقسيم العمل هو وراء الإغتراب، لأن ناتج العمل هو الذي يتحكم في طبيعة النشاط الإنساني وغايته، ولأن العمل يفرض على العامل، فكلما زاد ما ينتجه العامل زادت قوة رأس المال، وضعفت قدرة العامل على امتلاك ما ينتجه ويصنعه، فيصبح ضحية لعمل أنتجه، لأنه يخلق بفعله ومجهوده عالم مضاد له، ولأن العمل منفصل عن موضوعه ويفرض على العامل، فإنه يؤدي إلى الاغتراب، وكلما جسد العامل ذاته في العمل الذي ينتجه تنتفي ذاته الحقيقة، لأنها أصبحت تنتمي إلى العمل والموضوع الذي تصنعه بنفسها، ولا تنتمي إلى ذاتها، ولذا فإن العامل أثناء عمله لا يؤكد ذاته بل ينكرها ، مما يزيد غربته ويزيد عزلته وانفصاله وبالتالي اغترابه.

(٣) الوظيفية البنائية:

لقد تعاملت هذه النظرية مع المجتمع ككل وبما يسوده من روابط إنسانية وعلاقات اجتماعية، تحكمها قيم ومعايير يفترض فيها الضبط والمشاركة والتفاعل الاجتماعي، مما ينفي وجود (الأنومي Anomie) و(اللامعيارية Normlessness) فيري "أميل دوركايم" أن المعيارية وراء أخلاقيات المجتمع وتعكس مدى توافق الفرد مع المجتمع ، وأن للعقل الجمعي أهميته في استقرار المجتمع وتماسكه ويقوم على اتفاق معياري، ويرى "تالكوت بارسونز" أهميه هذا الاتفاق المعياري حيث ضرورة التوحد مع القيم والمعايير السائدة في المجتمع. ويرى "روبرت ميرتون" ضرورة احترام وتقدير المعايير الاجتماعية، لأن الخلل وعدم التوازن في العلاقة بين الأهداف المنشودة لإنجاز القيم الاجتماعية وبين القواعد والمعايير الاجتماعية لإنجاز هذه الأهداف يؤدي إلى(الأنومي Amomie) وخلق شعور بالعزلة والانفصال عن المجتمع، بل وربما البحث عن قيم بديلة للتعامل وتحقيق التفاعل الاجتماعي.

(٤) أما عن مدرسة الفعل الاجتماعي (المدرسة النفسية في علم الاجتماع):

فيري "ماكس فيبر" أن للحرية أهميتها في انتفاء الاغتراب، ولذلك اتهم التنظيم البيروقراطي في الحد من عملية التفاعل الاجتماعي وأنه وراء تدهور العلاقات والروابط الإنسانية، ويتسبب في عزله الأفراد عن مجتمعهم واغترابهم.

ويرى "أريك فروم" أن فقدان النفس لذاتها وهروبها من ممارسة الحرية، هو موافقة الفرد على التنازل عن ذاته الفردية، فأصبح فاقد التعبير عن نفسه كخلاق لأفعاله، ويرى "فروم" أنه في الحب والعمل الطريق إلى الحرية الإيجابية المثمرة، لأن الحب يعمل على إعادة وحدة الشخص المغترب، وبالحب يتغلب على

الانفصال عن الذات، وأن الشكل الزائف من الحرية يرتبط بشكل زائف من الحب، وأن الحرية الإيجابية قادرة على هدم الاغتراب، ومعها يعيش الإنسان من أجل أن يكون، لا من أجل أن يُستعمل، أو يحصل على، وأنه بالحب والعمل يربط الإنسان نفسه بالعالم حوله، وأن الحب المثمر هو مصدر الحرية الإيجابية المثمرة.

(٥) وانتهى الفصل بوقفه مع الإسلام: بقيمه الجوهرية في معالجته لهذا المفهوم السلبي (الاغتراب) حيث العبودية لله وحده، والخضوع والتسليم له وحده سبحانه رب العالمين خالق البشر وخالق كل شيء ، والقادر على كل شيء وبيده ملكوت كل شئ ، وإليه يرجع كل شيء وسبحانه ليس كمثله شيء، وحق على الناس جميعاً أخلاص العبودية له وحده لا شريك له ، والتسليم الكامل له ، على أن يرافق هذا الخضوع وذاك التسليم الأخذ بالأسباب كفعل إيجابي حتمي يستمر باستمرار حركة الحياة، فمن تمام العبودية الأخذ بالأسباب في مسيرة السعي في الحياة، قال تعالي: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات ٥٦]

ولكي تتحقق العبودية الصحيحة، انزل الله تعالي المنهج الإلهي (القرآن الكريم) للناس كافة، علي خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم المبعوث للناس كافة ورحمة للعالمين ليبصرهم بأمور دينهم ودنياهم ، حتى تستقيم أمور حياتهم فيمتثلون طاعة لم أمر الله به، وتجنباً لما نهي الله عنه، حتى يصلح أمر دنياهم ودينهم ويعيشون حياة أمنه مطمئنة، وفي حق هذا المنهج الإلهي قال تعالى:﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام ٣٨] وأنه سبحانه تناول فيه كل أمور حياه الإنسان صغيرها وكبيرها ليكون مرجعاً حقيقياً يبصره بأمور دينه ودنياه لتستقيم حياته الدنيا، والآخرة. وقال الله تعالي في حق

مَنْ يعرض عن هذا المنهج تغافلاً أو تجاهلاً سواء قولاً أو سلوكاً: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) ﴾ [طه]. فما خلق الله تعالي البشر الا لعبادته، واستخلفهم في الأرض لإعمارها وإلي حين، وبمنهج الله تعالي بقيمه الجوهرية وبوضحها هدى رسولنا الكريم محمد ﷺ، الذي قال الله تعالي في شأنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)﴾ [النجم].

وأكد الله تعالي علي ضرورة إتباع هدي الرسول محمد ﷺ والأخذ بسنته مع المنهج الإلهي، وذلك بقوله تعالي: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر٧]

وأخيراً كيف يمكن قهر هذا المفهوم السلبي، وتأكيد الذات الإنسانية المنتمية الواعية بذاتها، والمعتزة بهويتها الشديدة الفخر بولاءها وشرف الانتماء لمجتمعها وأمتها بل وتسعي للإسهام بفعالية في بناء هذا المجتمع، والمحافظة عليه، والأخذ به إلي طريق التقدم والتطور، وهذا ما يقدمه الفصل الرابع والأخير من هذا الكتاب، حيث يناقش كيفية معالجة هذا المفهوم السلبي (الاغتراب) وقهره عبر(التقوى)، حيث تقوى الله سبحانه وتعالي، ومعرفة معني العبودية له سبحانه وحده التي يفترض أن تتجلي في سلوك البشر رجاءً وخوفاً منه، وحباً وطاعةً له وحده سبحانه، حتى تصبح التقوى قيمه عليا توجه السلوك في كافة المواقف الحياتية علي تنوعها صغيرها وكبيرها سواء علي المستوى

الفردي أو المجتمعي، فالتقوى تقهر الاغتراب، وتمحو كافة المفاهيم السلبية وتحمي النفس البشرية ، وتحصنها ضد كل ما ينال منها ومن أمتها، بل وتحرص علي وحدتها وتماسكها وعزتها وتقدمها، ومع التقوى تتحقق الذات الفردية الآمنة المطمئنة الساعية للخير والصالحات لها ولمَنْ حولها، ونفس هذا المعنى ينسحب علي الذات المجتمعية.

ولعله في تعضيد بعض **المحاور التالية ما يقهر الاغتراب** عبر المسئوليات الفردية والمجتمعية والتي يفترض فيها أن تنتهج التقوى كقيمه توجه السلوك في كافة التعاملات في جميع المواقف الحياتية صغر شأنها أم كبر:

١- تنميه الوعي الحقيقي لتجنب الخلل القيمي في المجتمع:

انطلاقاً من أن للوعي سياقه وأساسه الاجتماعي، وكما له بُعد ذاتي وأخر اجتماعي، فإنه يتضمن قدراً من الاستقلالية النسبية مع ارتباطه بالعوامل المجتمعية، وخاصة السياسية، وتبعاً لذلك تتنوع ملامحه طبقاً لتنوع المواقف، بل وربما تتناقص من موقف لأخر، ولذا فإن عملية تزييف الوعي عمليه تاريخية مستمرة ومطردة ويسهم فيها العديد من الأطراف بدءً من **الطبقة الحاكمة** المسيطرة التي تعمد لتزييف وعي جماهيرها بما هو لصالحها، ويساعدها في ذلك **الإعلام**، وكذلك **الطبقة المسيطرة اقتصادياً** لأنها ستكون هي المسيطرة فكرياً، فهي غالباً ما تسعي وبشدة لتحول دون نضج الوعي السياسي لجماهيرها ، بل وتعمل علي تهميشه وتسطيحه.

كذلك يلعب النظام التعليمي دوراً في تزييف وعي الجماهير، وذلك بأن يعيد إنتاج الواقع الاجتماعي أي(التخلف الاجتماعي) ويعيق التنمية، بل ويشجع علي أخذ موقف من أيديولوجيات الطبقات الاجتماعية، عاكساً بذلك الأيديولوجيه

الرسمية السائدة، والخطاب السياسي السائد، فيعمل بل ويزيد من تزييف الوعي واغتراب الجماهير، ورغم أن الوعي الديني في علاقة طردية مع الأخلاق البيئية، إلا أنه – في عصر العولمة حيث ترويجها للعلمانية بقيمها الشديدة التحرر، ومحاولات النيل من الإسلام واتخاذه عدواً- قد يكون لبث الوعي الديني سواء عبر التعليم أو الإعلام شأناً أخر، حتى يتفق مع إيديولوجية العولمة... ومع هذا الخلل القيمي تتفشي الأمراض العصابية في المجتمع، ومعها يسود اللامعني، واللامعيارية وتصبح العزلة ومشاعر العجز هي الغالبة علي الأفراد، فيتفشى الاغتراب بأبعاده وينال من الأفراد وأيضاً المجتمع، وخاصة علي مستوي الولاء والانتماء والهوية .

٢- الاعتزاز بالهوية وشرف الانتماء وتحقيق الذات:

مع البحث في مفهوم الاغتراب من الصعوبة فصل المفاهيم الثلاثة: (الهوية، الانتماء، وتحقيق الذات) فهي مفاهيم وثيقة الصلة فيما بينها وذات علاقة تأثيرية متبادلة مباشرة، حيث الارتباط الوثيق والتداخل والتفاعل فيما بينما، فتعكس الهوية مدي وعي الذات بذاتها، ومدى وعي الأخر بها، ووعيها بالأخر في حد ذاته، ناهيك عن أن الهوية وليدة الانتماء وتنشأ عنه، والانتماء يؤدي إليها ويؤكد ضرورة الوعي والاعتزاز بها، فهي سبب الانتماء ونتيجة له في آن واحد.

ولأن الهوية من أكثر الحاجات الإنسانية إلحاحاً يتحتم الوعي بها والسعي لتحقيقها، وهي لا تحول دون التفرد والتمايز، ولكن تؤكد على التوحد مع الوطن وشرف الانتساب له، وأنه إذا لم تتمكن الذات الإنسانية من إشباع حاجاتها الأساسية، أثر ذلك سلباً على الهوية مسبباً أزمة في الهوية ، وضعف القدرة على التوازن والاستمرارية، بل وتسّرع بالسقوط في معاناة الاغتراب بأبعاده

المتعددة، ولذا فإنه من الصواب ألا يكون هناك إفراط في تأكيد مشاعر الفردية، وأيضاً لا تفريط في الاعتزاز بالمشاعر والانتماءات الجماعية والمجتمعية، وإنه مع عدم تعيين الهوية وتجاهل محدداتها، تصاب الذات الفردية بمشاعر الاغتراب، والإحساس بالنقص الذي يصاحبه العديد من الأمراض والاضطرابات النفسية مثل: القلق، الخزي، القهر ، الكبت ، وغيرها، وجميعها تنال من مفهوم الذات، وأيضاً تحقيق الذات، وتقديرها.

وهكذا ينال الاغتراب من الذات الفردية وأيضا الذات المجتمعية، مؤثراً سلباً على مدى ودرجة الإنجاز، وحتى إن تحقق الإنجاز، فإنه لا يضفي بهجة على المغترب، ولذا يعجز المغترب عن تحقيق ذاته، وبالتالي يفتقد إلى تقدير الذات، وتتعاظم الفردية والأنانية والسلبية، وما يتبع ذلك من تفسخ المجتمع نتيجة ضعف الالتزام بالواجبات، والافتقاد للإحساس بالأمن والآمان بفعل تجاهل الحقوق الأساسية وحرمان إشباعها.

٣- الاغتراب والخصوصية الثقافية (الهوية العرقية):

انطلاقاً من الإدراك الوعي بالذات، وتميزها وتفردها، والإدراك الواعي بالأخر وبقيمة في حد ذاته كأخر، وأن التراث بمثابة خصوصية ثقافية، وأن التضحية ولو بجزء منه هو استبعاد لزمانية هذا التراث، وتشويه الذات الثقافية تماماً، كالوقوف عند الماضي الذي يمثل انكساراً وصعوبة أخطر، لأن البعد التاريخي يؤكد الهوية وتمايزها، ولذا فإن الإدراك الواعي بالذات وتمايزها ، يسهم في تدعيم الثوابت التاريخية، ومن هنا تعتبر الهوية الثقافية هي النواة الحية للشخصية الفردية والاجتماعية وهي النمط الثقافي المميز للجماعة أو المجتمع،

هذا ويلعب الاختلاف الثقافي والعقائدي دوراً في مدى اغتراب أصحاب الهوية العرقية تماماً كما تفعل الظروف الذاتية ، والمجتمعية.

وكما أن التبادل الثقافي يسهم في تعزيز الهوية، فإن القهر الثقافي يعجل بتعميق مشاعر الاغتراب، وأنه في حال تخلى الفرد ولو عن جزء من إرثه الثقافي إكراهاً ، أو نتيجة لضغوط ما، فإن ذلك يعجل بمشاعر الاغتراب، لأن الاغتراب كمفهوم سلبي يتعامل مع مفاهيم أساسية ترتبط بحياة الفرد وولائه وانتمائه لثقافته الأصلية بعناصرها المتعددة.

وتعاني الهويات العرقية، حيث الخصوصية الثقافية، وتناقضاتها مع ثقافة المجتمع المغايرة، نتيجة عدة عوامل قد يكون منها: (افتقاد أداة للتواصل مع الآخرين الآوهى (اللغة) لغة البلاد التي هاجرت إليها تلك العرقيات، والاختلاف العقائدي وممارسته، والتحديات الاقتصادية والاجتماعية التي هي وراء عدم إشباع الحاجات الأساسية، مما يؤدي إلى تفشى مشاعر العجز والعزلة). كذلك أيضاً ممارسات الجبر والإكراه في تخلى بعض أصحاب العرقيات ولو عن جزء من أرثهم التاريخي، ناهيك عن إفتقار النظم التعليمية إلى مهارات ومعارف تساعد الأقليات العرقية على الحياة بشكل صحي وإيجابي عبر تبصيرهم بمشكلات وقضايا البلاد التي يقيمون فيها، وكيفية التعامل معها أو محاولة تجاوزها.

وربما قد يكون للوعي المتعدد الثقافات ضرورة في البلاد التي تقيم بها العديد من الأقليات والعرقيات، تجنباً لعزلتهم أو تفشى مشاعر الإحساس بالعجز أو الانفصال عن المجتمع، بمعنى أدق تجنباً للاغتراب بتوابعه السلبية سواء على العرقيات، أو على المجتمع ككل، مع الأخذ في الاعتبار الاختلاف الثقافي، ومراعاة الحساسية الثقافية بما تتضمن من عناصر الثقافة وأبعادها، وذلك دون قهر أو إجبار، حتى يمكن تحقيق التفاعل الإيجابي والاندماج في الحياة المجتمعية،

بما ينفى الاغتراب بأبعاده، وتجنب المشاحنات الطائفية، وما شابهها، وجميعها لها أنعاكسها السلبي على الذات الفردية، والطائفة العرقية، والذات المجتمعية.

وختاماً: مع الخوف والرجاء من الله سبحانه وتعالى وتحقيق العبودية الكاملة والتسليم الكامل والخضوع له سبحانه، حيث الامتثال والطاعة لِمَ أمر به، وتجنب ما نهي عنه، حينئذ يصلح حال الذات الإنسانية الفردية في سعيها في الحياة الدنيا، وأخذها بالأسباب حيث الإقبال على عمل الصالحات وفق القيم التي حثنا الله تعالى عليها في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، وفي تعامله مع الآخرين حوله، ومع المجتمع ككل ، فالأعمال جميعها معروضة على رب العالمين وسيحاسب عليها المرء، وكفي بالمرء تذكرة بقوله تعالي : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾ [الحديد]

وقوله تعالي: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾ [الطلاق]

وقوله تعالي: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)﴾ [الطلاق]

وقد يكون من المفيد الإشارة إلى أنه قد استنارت سطور هذا الكتاب بالعديد من الآيات القرآنية الكريمة، وأيضا الأحاديث النبوية الشريفة ، كلما استدعي الأمر لزيادة المعنى وضوحاً وتعمقاً في ذهن القارئ، كما لعبت نتائج الدراسات والبحوث علي تنوعها، العربية والأجنبية، دوراً في بلورة محتوى هذا الكتاب كل في سياقه، لتدعيم أبعاده ومحاوره، مع الوعي بأن نتائج الدراسات الأجنبية هي وليدة ثقافة مغايرة ولكن هذا لا يمنع الاستفادة منها في بلورة هذا المفهوم السلبي (الاغتراب) الذي ينال من الذات الإنسانية الفردية، والذات والمجتمعية اينما وجدت، طالما توفرت عناصر وعوامل تواجده علي تنوعها في الزمان والمكان.

والله ولي التوفيق ،،،

تحريراً في ٢٠١٠/٨/١٠

المؤلف

الدكتوره / لطيفة إبراهيم خضر